

أُصداف الدر على سورة العصر

تأليف الشيخ

الحاج إبراهيم بن يَحْمَان الثميني

(1232 هـ / 1817 م)

تحقيق وتعليق

إبراهيم محمد طلاي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

كنت أتصفح بعض الأوراق القديمة من التراث وغيره،
فظفرت على هذه الوريقات التي كتبها الشيخ الحاج إبراهيم
ابن بيحمان الثميني [رحمه الله] بخطه تفسيراً لسورة "العصر"⁽¹⁾.

وقد خصّها الشيخ بالتعليق لما تشتمل عليه السورة من
توجيهات إلهية للمسلمين كي لا يشملهم الخسران الذي يعمّ
بني آدم إلا من استثناهم الله.

والحقّ أنّ السورة من جوامع الكلم مع قصرها:

- فيها الدعوة إلى منهجية إسلامية تضمن لمن يسير

حسب مقتضاها سلامة الدين والدنيا.

1- والنسخة المعتمدة من مكتبة الاستقامة وكانت ضمن ملزمة جمع فيها المؤلف رحمه الله جملة

من آثاره نثراً وشعراً بخطه الذي يمتاز بالوضوح والسلامة من الأخطاء.

فقلت: لم لا نعمل لنشر هذه الوريقات التي كتبها الشيخ وإخراجها للناس لعلهم يستفيدون منها، وتكون لهم عوناً على الثبات على النهج الصحيح والطريق السوي في زمان كثرت فيه الدعوات وتعددت الآراء واختلفت المقاصد والاتجاهات.

زمان أصبح فيه سكان الأرض على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم كأنهم يسكنون في بيت واحد كل واحد منهم يحاول أن يجر إليه أخاه بالتي هي أحسن، أو بالتي هي أخشن وأرعن. لا نستريح من فتنة رأي حتى تنجر إلى فتنة أخرى. فلعل القارئ يجد فيها ما ينير له السبيل وينقذه من الحيرة أو الذوبان.

نعم لقد كتبها الشيخ على نهج يخالف بعض الشيء النهج الذي يسير عليه الدعاة والمرشدون في وقتنا الحاضر، وطريقتهم في طرح المشاكل ووصف الأدواء والدعوة إلى سواء السبيل. ولكن مع ذلك إني على يقين من أن القارئ البصير يجد فيها ما ينير له السبيل وينقذه من الشك واختلاف الآراء وتعدد السبل.

فالقرآن الكريم دائما نور يهدي الله به الناس ويخرجهم
به من الظلمات إلى النور وسيبقى الحصن الحصين لأمة محمد
عليه السلام، وإن اختلفت طريقة تناوله وبيانه للناس وتعددت مناهجه.
والله من وراء القصد.

بني يزقن: 25 جويلية 2004م.

إبراهيم محمد طلاي

التعريف بالشيخ

وللتعريف بالشيخ لا أجد أخصر ولا أوفى ممّا ورد عنه في معجم أعلام الإباضية⁽¹⁾.

إبراهيم بن بيحمان بن أبي محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الثميني اليسجني (ت: 1232هـ/1817م). من علماء بني يزقن البارزين، أخذ العلم عن خاله الشيخ عبد العزيز الثميني (ت: 1223هـ/1808م) وعن الشيخ أبي زكرياء يحيى بن صالح الأفضلي (ت: 1202هـ/1787م). وهو من أنصار النهضة الإسلامية الحديثة والدعاة لها بالخطب والوعظ والإرشاد، فكان ينتقل بين مدن وادي ميزاب يدعو إلى العلم ويحارب الجهل والبدع.

له تلاميذ كثيرون وكانت له صلواتٌ كثيرة بعلماء الجزائر والمغرب وعمان، فكان يرأسل الإمام سليمان بن عبد الله إمام

1- معجم أعلام الإباضية: ج2، ص22، رقم: 16 الصادر من جمعية التراث سنة 1999م.

سلطنة عمان، كما أنّ له مراسلات إلى البايات والدايات الأتراك باسم مجلس عمّي سعيد الذي كان كاتبَ تقاريره...

وهو شاعر أيضا تمتاز قصائده بقيمتها التاريخية وإن لم يرقّ إلى مستوى الشعر الجيّد من الناحية الأدبية. له مؤلّفات عديدة نذكر منها:

1. تفسير آيات النور من سورة النور، مخطوط.
 2. تفسير سورة الفاتحة، مخطوط.
 3. تفسير سورة العصر، وهو بين يديك.
 4. حاشية على تفسير البيضاوي، مخطوط غير تام.
 5. شرح موازين القسط لأبي مهدي عيسى بن إسماعيل، مخطوط.
 6. الرحلة الحجازية نثرا ونظما، مخطوط.
 7. شرح مجموعة من الأحاديث، مخطوط.
 8. تلخيص عقائد الوهبية في نكتة توحيد خالق البرية، مخطوط.
- وكان يملك مكتبة ثرية من نفيس المخطوطات انتقلت بعد وفاته إلى حفيده عبد الله بن محمّد بن إبراهيم. انتهى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد
وآله وصحبه وسلم تسليما

مقدمة المؤلف:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين فلا عدوان إلا
على الظالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد
خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطاهرين وأصحابه الطيبين
وأزواجه أمّهات المؤمنين، وعلى كل بارّ تقى إلى يوم الدين.
وبعد فلما رأيتُ إلى ما أحاطَ به كتاب الله سبحانه
من علوم الأولين والآخرين، واحتوى عليه من مُغيّباتِ
السّماوات والأرضين وعجائب المخلوقات، وما تحت الثرى
وبدائع المصنوعات، وما بالأفق الأعلى [من الآيات
الباهرَات]. وإلى بدئِ الخلق وأسماء مشاهير الأنبياء والمرسلين،
والملائكة البررة الكرام، وأخبار الأمم السّالفة الأقدمين، وشأن

مولانا محمد عليه الصّلاة والسّلام وجميع أخباره وغزواته
للأنام من ابتدائه إلى انتهائه، وشأن أمته في حياته وبعد مماته،
وعلامه السّاعة، وأخبار البرزخ ويوم القيامة، والبعث والحشر
والجنة والنّار، وأمّهات التّوحيد والمواعظ والأمثال، والأخبار
فإذا هو شيء عجيب لا يُحيط لوصفه ليب فكيف لا وهو
قرآن مفصّل وفرقان متل ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾
[فصّلت: 42] نزل به الرّوح الأمين على قلب رسولٍ مجيد لا غاية
لعجائبه، ولا نهاية لغرائبه، ولا يُحيط بما فيه إلّا خالقه أو نبيه،
في غير ما استنار عليه ربّه كما قال سبحانه: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي
الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38].

بدا لي⁽¹⁾ أنّ سورة من أقصر سوره قد أحاطت ببعض
ما ذكر من غرائبه، وهي سورة العصر لمن تأمل ما فيها
وتدبّر وأمعن نظره فيها وتفكّر، تحتاج لتعليق يكشف النقاب
عن وجوه مخدّراتها ويزيل الحجاب عن أبكار مهمّاتها

1- جواب لـ قوله: (فلما).

ومُعْضَلَاتِهَا فَمَسَّيْتُهِ: "أَصْدَافَ الدَّرِّ وَأَكْمَامَ الزَّهْرِ الْمَوْضُوعَةِ
عَلَى سُورَةِ الْعَصْرِ"⁽¹⁾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي
خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ
وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

فقلت فيه مستعينا بالله سبحانه (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ). وقد أشبعنا الكلام على البسملة في "المعدن المصون
على الكثر المدفون"⁽²⁾ فعليك به. وهذه السورة مكية من
الخمس والثمانين⁽³⁾ سورة التي أنزلت على سيدنا ومولانا
محمد عليه الصلاة والسلام بها، وما بقي لكمال عدتها وهي
مائة وأربع عشرة سورة نزلت عليه ﷺ بمدينته.

قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ فهذا قسم عظيم مُخْتَصٌّ بِاللَّهِ

1- وتصرفنا في العنوان بالاختصار منه.

2- وريقات للشيخ في تفسير سورة الفاتحة (مخ).

3- حسب رواية الربيع في مسنده (3) باب في ذكر القرآن. رقم: 17. موقوفا عن ابن عباس.

تعالى دون غيره، لأنه وَعَجَلَ إِذَا أَرَادَ تَعْظِيمَ مَخْلُوقٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ أَقْسَمَ بِهِ تَنْوِيهَا بِشَأْنِهِ، بِمَعْنَى عَصَرَ النُّبُوَّةَ لَمَّا يُوقِعُهُ فِيهِ مِنَ الْأَعَاجِيبِ الْبَدِيعَةِ، وَالْخَوَارِقِ الْغَرِيبَةِ، الَّتِي لَا تَنْتَاهِي، كَعَصَرِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَغَيْرِهِ كَسَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى قِيلَ إِنَّ عَصَاهُ بَلَّغَتْ أَلْفَ مَعْجَزَةٍ.

أو [المراد] صَلَاةُ الْعَصْرِ لِشَرَفِهَا عَلَى غَيْرِهَا، وَكَوْنُهُ وَقْتُ اجْتِمَاعِ النَّاسِ عَلَى الْأُمُورِ الْعِظَامِ وَالْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

أو مطلق العصر أي الدهر، من ابتداء الدنيا إلى انتهائها، فَإِنَّهُ تَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ، يُغْنِي فَقِيرًا وَيُفْقِرُ غَنِيًّا، وَيُعِزُّ ذَلِيلًا وَيُذِلُّ عَزِيزًا، وَيُصَحِّحُ سَقِيمًا وَيُسْقِمُ صَحِيحًا، وَيُمِيتُ حَيًّا وَيُحْيِي مَيِّتًا، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِهِ الْجَلِيلَةِ.

ويحتمل أن يكون على حذف مضاف أي وربّ العصر، وعليه

فيكون أقسم بذاته تعالى، وقد أكثر الله سبحانه بمثل هذا في كتابه،

1. [ما يجوز للمخلوق أن يحلف به]: هذا في

شأن الخالق وأما المخلوق فلا يحلف إلا بالله، ولا يجوز له غيره، لقوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصُمْتُ»⁽¹⁾، ولا تحلفوا إلا بالله. كوالله وتالله وربك ورب الكعبة وعظمته وقدرته، وأيم الله وعهده، وميثاقه إن نوى يمينا.

2. [كفارة اليمين]: وعلى الحانث بعد اليمين

المعقود بذلك ما ذكره الله **وَعَجَلٌ ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ﴾** الآية. [المائدة: 79].

3. [يمين اللغو]: ولا يمين في لغو كما قال الله ﴿لَا

يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ الآية. [البقرة: 225]، وهل هو ما صدر في حال غضب أو نسيان، أو خطأ، أو هزل أو معصية أو خُصومة أو كلامٍ ساقطٍ؟ خلاف.

1- رواه البخاري في كتاب الشهادات. (26) باب كيف يستحلف... رقم: 2533.

ومسلم في كتاب الأيمان (1) باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى رقم: 1646. من حديث ابن عمر وأول الحديث عنده: أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وعمر يحلف بأبيه فناداهم رسول الله ﷺ: «أَلَا إِنَّ اللَّهَ وَجَلَّ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصُمْتُ».

ولحق به ما كان بغير الله نحو وحق الكعبة، وجبريل، ومحمد، وحياتك، وأبيك، ورأسك، ورأس فلان لنهي الشارع عنه. ولزم به استغفار فحسب.

4. [الحنث أفضل]: والحنث في اليمين أفضل من

التمادي عليه لحديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث قال عند نزول آية التكفير «لَا أَحْلَفُ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتُ غَيْرَهَا أَفْضَلَ مِنْهَا إِلَّا كَفَرْتُهُ وَأَتَيْتُ بِمَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ»⁽¹⁾، وقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن سمرة: «إِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهُ خَيْرًا مِنْهُ فَكَفَرْ عَنْهُ، وَإِيتَ بِمَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ»⁽²⁾.

ويختلف باختلاف أحوال المحلوف عليه، فإن كان على واجب

1- رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور باب قول الله: ﴿لَا يُوَاحِدُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ رقم: 2964 ورقم: 6249 ومسلم في كتاب الأيمان باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها أن يأتي الذي هو خير... رقم: 1649. من حديث أبي موسى الأشعري.

2- رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور باب قول الله: ﴿لَا يُوَاحِدُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ رقم: 6248 ورقم: 6343. وابن جرير في المنتقى: ج 1، ص 233، رقم: 929. من حديث عبد الرحمان بن سمرة.

وترك محرم فيمينه طاعةً والتّماذي عليه واجبٌ والحَنْثُ مَعْصِيَةٌ.
أو مندوبٌ فطاعةٌ والتّماذي حَسَنٌ، والحَنْثُ مكروه،
أو على عكسه فبعكسه،

5. [متى تخرج الكفّارة]؟ : وتجزئ هذه الكفّارة

بعد حنث ويمين اتّفاقاً، ولا تجزي قبل يمين اتّفاقاً، فهل تسقط
عليه قبل الحنث أو بعده؟ قياساً على تقديم الواجب قبل
الوقت كالزّكاة مراعاةً لصّلاح الفقير، وحملًا على الظّهارة
بنصّ شارع، أولاً، للحديث المتقدّم؟ قولان.

6. [لغة]: والعَصْرُ مثلثٌ، وبضمّتين الدّهر،

واليوم والليّلة، والعشيّ لآخرِ شمس، والغداة، والحبس،
والرّهط والعشيرة، والمنع، والعطية.

وأعصرَ دخل في العصر، والمرأة بلغت شباباً وأدركت
بلوغاً ودخلت في حيض، ورهقت عشرين سنة، أو ولدت أو
حُبست في حبس بيت ساعةً فطمثت.

وعصير العنب وغيره ما يستخرج منه ليؤوّل إلى شيء آخر

كخَلٍّ. والمعصرات السَّحَابُ، وأُعْصِرُوا أَمْطِرُوا.
 والإِعْصَارُ الرِّيحُ تثير سحَابًا أو التي فيها نار أو تهبُّ
 من الأرض نحو السَّمَاءِ كعمود أو التي فيها الغبار الشَّدِيد.
 والاعتْصَارُ أَنْ يَغُصَّ إنسانٌ بِطَعَامٍ فيعتَصِرُ بماءٍ قليلاً
 قليلاً ليسيغه. ورجل كَرِيم المِعْصَرُ أي الحسب والنَّسب.
 وعَصَرَ الزَّرْعُ نبتَ أَكْمَامُ سُنْبُلِهِ. وجاءوا على إِعْصَارٍ من
 الدَّهْرِ أي حين. وبنوا أَعْصَرَ قَبِيلَةً من عبد القيس.
 و﴿إِنَّ﴾ من الأحرف النَّاسِخَةُ إلى نَصْبِ الأوَّلِ اتِّفَاقاً ورفع
 الثاني على الأصحَّ، عكسُ (كَانَ) تنبيهاً على الفرعية، حرفُ
 توكيدٍ ونَصْبٍ، وكثيراً ما يتلقَّى بها القَسَمُ مُبَالَغَةً في التَّأْكِيدِ.
 [مواضع الكسر]: وتكسر في مواضع عديدة:

- في ابتداء كلام بكثرة حقيقة، نحو ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 1] و﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: 1].
- أو حكماً نحو: ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [يونس: 55] و﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62] و﴿لَا

يُحْزِنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿٦٥﴾ [يونس: 65].

• وجواب قسم بكثير كما هنا، ونحو ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: 1]، ﴿وَالكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: 2].

• ومحكي بقول نحو، ﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ [يس: 14]، ﴿وَقَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ [هود: 81].

• وبعد عامل معلق باللام نحو: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: 1].

• وفي بدا صلة نحو: ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ [القصص: 76].

• وبعد حيث نحو: جلست حيث إن زيدا عالم، وإذ نحو جئتكَ إذ إنك كريم.

• وفي خبر عن اسم ذات نحو: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: 17].

• وصفة نحو: مررت برجل إنه عاقل.

• وحال نحو: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ [الأنفال: 5].

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ الإنسان: اسمٌ إنَّ منصوبٌ معرّفٌ بـأَلِ الجنسية، أو الاستغراقية أي كلّ إنسان، بمعنى ماهيّة كلّية مركّبة من الحيوانية والناطقة،

[منطقيات]:

وهي من الكلّيات المنحصرة في الخمسة لأنّها إمّا نفسٌ تامّة الماهيّة أو جزء منها داخلا فيها، أو عارضا خارجا عنها: **فالأوّل** يسمّى نوع الأنواع كالإنسان، وهو كلّى مقول على كثيرين، متّفقين في الحقيقة في جواب ما هو؟ حتّى لو سُئل عنها لقليل في جوابها حيوانٌ ناطقٌ أي مدرك.

والثاني إمّا أن يكون مُساوياً لتلك الماهيّة فيسمّى فصلا مُميّزا لها، كالناطق، وهو كلّى مقول على شيء في جواب أيّ شيء هو؟ أو أعمّ منه فيسمّى جنسا لها كالحيوان، وهو كلّى مقول على كثيرين مختلفين في الحقيقة في جواب ما هو؟ **والثالث** إمّا خاصّ كالضحك للإنسان وهو كلّى خارجٌ عنها، صادق على حقيقة واحدة، أو عامٌّ كالمشي له

ولغيره، وهو كُلِّي صَادِقٌ عَلَى أَفْرَادِ الْمَاهِيَةِ الْوَاحِدَةِ وَغَيْرِهَا،
 ثُمَّ هَذِهِ الْأَجْنَاسُ تُعْتَبَرُ مُتَصَاعِدَةً إِلَى مَا فَوْقَهَا وَهُوَ
 الْجَوْهَرُ الْمُسَمَّى بِجِنْسِ الْعَالِي،
 وَمُتَنَزِّلَةٌ إِلَى السَّافِلِ الْمُسَمَّى بِمَا ذُكِرَ، وَمَا بَيْنَهُمَا وَسَائِطُ
 بِحَسَبِ الْإِعْتِبَارِ، وَلِكُلٍّ مِنْهَا حَكْمٌ يَخْصُّهُ.
 وَإِنَّ الْكُلَّ هُوَ الْحَكْمُ عَلَى الْمَجْمُوعِ مِنْ حَيْثُ هُوَ،
 وَالْجُزْءُ مَا تَرَكَّبَ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ الْكُلُّ،
 وَالْكُلِّيُّ هُوَ الَّذِي لَا يَمْنَعُ نَفْسُ تَصَوُّرِهِ مِنْ وَقُوعِ
 الشَّرَكَةِ فِيهِ، وَالْجُزْئِيُّ هُوَ الَّذِي يَمْنَعُ ذَلِكَ.
 وَالْكُلِّيَّةُ هُوَ الْحُكْمُ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ، وَالْجُزْئِيَّةُ هُوَ الْحَكْمُ
 عَلَى بَعْضِ الْأَفْرَادِ دُونَ بَعْضٍ.
 وَمَحَلُّ بَسْطِ الْكَلَامِ فِي هَذَا الْمَقَامِ كِتَابُ الْمُعْقُولِ.

[لغة معاني ﴿الانسان﴾]: وَالْإِنْسَانُ وَالْإِنْسُ

بِمَعْنَى الْبَشَرِ وَأَنْسَ أَبْصَرَ، [وَيُقَالُ] لِلْمَرْأَةِ إِنْسَانٌ وَإِنْسَانَةٌ كَمَا
 قَالَ مِنْ مَجْزُوءِ الرَّجَزِ:

إِنْسَانَةً فَتَّانَةً بِدْرُ الدُّجَى مِنْهَا خَجَلٌ
وإنسانُ العينِ مثال في سوادِها كقول صبيّةٍ من كامل الرجز:
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ ذَنْبٍ كُلِّهِ قَتَلْتُ إِنْسَانًا بِغَيْرِ حِلِّهِ
وانتصفَ اللَّيْلُ وَلَمْ أَصَلِّهِ
والإنسي: الأيسرُ من كُلِّ شيءٍ، ومن القوسِ: ما أقبل
عليك. والإنسان: رأس جبل، وأرض لم تزرع.
وإنسُكَ وابن إنسِكَ: صَفِيُّكَ وَخَاصَّتُكَ. والأُنوس من
الكلاب: ضِدُّ العُقُور، والأُنيسُ: الدِّيكُ، وما في الدِّيار أنيس
أيّ أحد.

وأنس: [اسم] خادِم رسول الله ﷺ صحابيٌّ مشهورٌ،
والأنسة: ضِدُّ الوحشة. وأنس الشيء: أَبْصَرَهُ وَعَلِمَهُ،
وأحسَّ به، والصَّوتَ سَمِعَهُ.
﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ واللام لتأكيد الخبر، و﴿فِي خُسْرٍ﴾ جار
ومجرور، متعلق بمحذوف وجوباً خبرٌ إنَّ،
و﴿خُسْرٍ﴾ بتنكيرٍ للتَّعْظِيمِ أعني: إنَّ هذا الجنس في

عدم ربحٍ وتضليلٍ سعيٍّ، ونقصانٍ تجارةٍ، وتضييعٍ رأسِ المالِ الذي فُطر عليه أوّلاً، فكيف يحصلُ له ربحٌ بعده؟

وقد سافر بلا زادٍ ولا بضاعةٍ مع اختلالِ حالٍ، وفقد هدايةٍ، وسُلوکٍ في طريقِ ضلالةٍ،

ولقد ضرب الله سبحانه لهذا الجنس مثلاً عجيباً حيث قال في شأنه: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا..﴾ [البقرة: 17] إلى آخر الآيات و﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: 11]. وفيه من المجاز المُركَّب ما لا يخفى على من ذاقَ حلاوةَ البيانِ ولو بطرفِ اللسانِ.

و﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، والأصل⁽¹⁾ [في] أدوات الاستثناء، وهو إخراج البعض الواقع بعدها، وهو المستثنى من العموم، الذي قبلها وهو المستثنى منه.

و﴿الَّذِينَ﴾ من الموصولاتِ الاسمية المفتقرة إلى صلةٍ وعائدٍ منصوب بـ﴿إِلَّا﴾ على الأصح.

1- أي الأصل في الاستثناء استعمال الأداة (إلا).

﴿آمَنُوا﴾ أي أقرُّوا بألسنتهم، وصدَّقُوا بتوحيد ربِّهم ورسالة نبيِّه وحقِّية ما جاء به من عند ربِّه، واعتقدوا ذلك في قلوبهم، وهو (أي الإيمان) يزيد بزيادة الطَّاعة وينقص بنقصانها، كما نصَّ الله سبحانه عليه في كتابه بقوله: ﴿وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: 2] .

﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ [آل عمران: 173] .

﴿لَيْسَتِيقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: 31] .

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: 17] .

وفي أحاديث من قوله عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «الإِيمَانُ نَيْفٌ وَسَبْعُونَ جُزْءًا أَعْلَاهُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهُ إِمَاطَةُ الْأَذَى مِنَ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةُ الْإِيمَانِ»⁽¹⁾.

1- رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، رقم: 35 من حديث أبي هريرة.

و«الصَّبْرُ نَصْفُ الْإِيمَانِ»⁽¹⁾ وَالسَّمَا حَةُ مِنَ الْإِيمَانِ،
وَلَوْ وَزَنَ إِيْمَانُ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه بِإِيْمَانِ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَرَجَحَ بِهِ،
وَلَا يَزَالُ يَزِيدُ بَعْدَ حَتَّى يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَيَنْقُصُ مِنْهُ حَتَّى
يُورَثُهُ النَّارَ.

وَأَنَّهُ يُقَالُ لِكُلِّ خَصْلَةٍ مِنْ خِصَالِ الْإِيْمَانِ بِتَنْكِيرٍ،
وَأَمَّا التَّعْرِيفُ [فَهُوَ] الدِّينُ فَلَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى جَمِيعِ
خِصَالِ الدِّينِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ
عَمَلُهُ﴾، [المائدة: 5]

وَاعْلَمْ أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيْمَانِ وَالْإِسْلَامَ مُخْتَلِفَةٌ الْمَفْهُومَ لُغَةً،
فَإِنَّ الْأَوَّلَ: بِمَعْنَى الْجُزْءِ، وَالثَّانِي: عِبَارَةٌ عَنِ التَّصَدِيقِ، كَقَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: 17]،
وَالثَّالِثُ: عِبَارَةٌ عَنِ الْإِذْعَانِ وَالْإِنْقِيَادِ،
وَمُتَّحِدَةٌ الْمَأْصَدِ شَرْعًا إِذْ لَا يُوْجَدُ وَاحِدٌ بَدُونَ
الْآخِرِ لِقَوْلِهِ وَعَجَلْ.

1- رواه البيهقي في شعب الإيمان، وأبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: 35، 36] ، و﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 84] .

وما جاء في حديثه ﷺ: كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال:

«بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ فَجَلَسَ أَمَامَهُ جُلُوسَ الْمُتَعَلِّمِ مِنَ الْعَالِمِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ فَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، فَقَالَ لَهُ: صَدَقْتَ، فَتَعَجَّبْنَا مِنْ قَوْلِهِ صَدَقْتَ يَسْأَلُهُ

وَيُصَدِّقُهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟
 قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ صَدَقْتَ»،

فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟
 قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»،
 ثُمَّ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟
 قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، لَكِنْ سَأُنْبِئُكَ
 بِأَشْرَاطِهَا... الخ.

ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثَ مَلِيًّا، فَقَالَ: «يَا عَمْرُ أَتَدْرِي مَنْ
 السَّائِلُ؟ قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،
 قَالَ ذَلِكَ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ لِيُعَلِّمَكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ»⁽¹⁾.
 وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ رَبَّنَا:

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: 85] ،
 وَ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19] .

[مفهوم الإيمان]:

وذهب أصحابنا [رحمهم الله] إلى أنَّ الإيمان مركَّب من إقرار وتصديق بلسان، واعتقاد بجنان وعمل بأركان، فلا يستحقُّ عندهم اسم المؤمن إلَّا المُوَفِّي بدين الله المُمَثِّل لأوامره المجتنب لنواهيه [وذلك] ليتَّضح الفرق بين الفعل والوصف إذ لا يصاغ الاسم منه لمن قام به إلَّا إن تكرر منه ذلك مرارا عديدة، واستمرَّ عليه، ولم يُحدث عليه ما ينافيه. ألا ترى من خاط في عمره ثوبا واحدا لا يقال له خاط لعدم تكررهِ، وإنَّما يقال له خاط فحسب، وكذا من بنى بيتا أو صاغ خاتما أو ارتكب كبيرة أو ضيَّع فريضة لا يقال له بَانٍ ولا صَائِغٌ ولا مؤمن لعدم وفائه بدين الله سبحانه. وإلى ما ذكر أشار النَّاظِم بدر الدِّين أبو نصر فتح بن نوح في منظومته من الطَّويل:

فَمَا كُلُّ مَنْ صَلَّى يُقَالُ مُصَلِّيًا فَشَتَّانَ بَيْنَ الْإِسْمِ وَالْفِعْلِ فَانْظُرْ

ويدلُّ على (ذلك) ما ذكر من الآيات القرآنية

والأحاديث النبوية وما سيأتي في شأن المؤمنين الكاملين إيماناً وإسلاماً والتَّوْبَةِ بِهِمْ وَمَا أَعَدَّهُ لَهُمْ عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: 2].

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

[المؤمنون: 1]،

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [طه: 112]

﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ

الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾ [سبأ: 37]،

﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الكهف: 88]،

﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ

الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ [طه: 75]،

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ

جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: 107]،

وقوله عليه الصلاة والسلام: «لَا يَزْنِي الزَّانِي (حِينَ

يَزْنِي) وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُهَا وَهُوَ

مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»⁽¹⁾.
 و«لَيْسَ الْمُؤْمِنُ مَنْ يَبِيتُ شَبَعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ»⁽²⁾.
 و«يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بَلِيسَانِهِ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِقَلْبِهِ أَلَا لَا تُؤْذُوا
 الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، وَمَنْ اتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ اتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ،
 وَمَنْ اتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ فَضَحَّهُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ»⁽³⁾.

10. [التنديد برأي المرجئة]: وغير ذلك من

النصوص الواردة في شأنهم على ما يقتضيه العقل والطبع، ويميل إليه
 ويرتضيه السمع، خلافا لما ذهب إليه المرجئة قبحهم الله وأعمى
 أبصارهم، من أن الإيمان بسيط إقرار باللسان فحسب.

ولقد جاوزوا الحد في ذلك حتى جعلوا ثمن الجنة التي
 هي عند الله تعالى غالية الثمن مجرد النطق بالشهادتين وإن
 عملوا ما عملوا من المعاصي،

وحلوا بذلك عقاب المنهيات والمنكرات، وعطلوا

1- رواه البخاري: كتاب المظالم، باب النهي. رقم: 2475 عن أبي هريرة.

2- رواه الحاكم في المستدرک ج4، ص167 بلفظ: "ليس بالمؤمن".

3- رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في الغيبة، رقم: 4880 من حديث أبي برزة الأسلمي.

الزَّوَّاجِرَ وَأَبَاحُوا الْمُحَرَّمَاتِ وَهَدَمُوا الدِّينَ بَعْدَ أُسَاسِهَا،
وَنَقَضُوا عُهُودَ اللَّهِ وَحُدُودَهُ بَعْدَ بُيَانِهَا وَأَبْطَلُوا التَّكْلِيفَ
وَالْعِقَابَ وَالْحِسَابَ، وَأَسَاغُوا مَا حَكَّمَ الْعَقْلُ بِاسْتِحَالَتِهِ مِنْ
اجْتِمَاعِ الضَّدِّينِ وَصَارُوا كَلَامِحِ السَّرَابِ،

ولقد كفانا مؤنتهم سيّدنا ومولانا محمد ﷺ حيث
قال فيهم وفي إخوانهم القدرية: «المرجئة يهود هذه الأمة،
والقدرية مجوسها»، و«طائفتان من أمتي ملعونتان على
لسان سبعين نبي قبلي»، و«لعن الله القدرية والمرجئة»،
و«طائفتان من أمتي لا تنالهم شفاعتي»⁽¹⁾، فحسبهم ذلك.
﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ
الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر: 17].

وإلى الهدام ببيان المرجئة وإبطال مذهبهم أشار الناظم

[أبو نصر] [رحمه الله] في منظومته النونية من الطويل بقوله:

لَقَدْ حَارَ فِي أَهْلِ الْبَحِيرَةِ خَاطِرِي بَنُوا ثُمَّ شَادُوا زُخْرَفَاتِ التَّدِينِ

1- رواه الربيع: ما جاء في الحجة على القدرية. رقم: 806 بلفظ: "صنفان".

فَيَا قُرْبَ مَا انْهَارَ الْيَنَاءُ يَوْصِفِهِمْ
لَقَدْ أَبْطَلُوا التَّكْلِيفَ وَانْحَلَّ عَقْدُهُمْ
وَقَدْ هَدَمُوا قَوَاعِدَ الشَّرْعِ جُلَّهَا
فَيَا لَيْتَ مَا فَاهَتْ بِهِ لَهَوَاتِهِمْ
وَلَكِنَّمَا الْمَغْرُورُ يَرْنُوا سَرَابَهُمْ
وَتَسْهِيلِهِمْ سُبُلَ الشَّرِيعَةِ بِالظَّنِّ
مِنْ أَمْرِ وَنَهْيٍ وَاسْتِرَاحُوا إِلَى الْأَوْنِ
وَقَالُوا فَوَارِ الْفَمِ يَقْضِي عَنْ الرُّكْنِ
صَحِيحٌ لَكُنَّا أَسْعَدَ النَّاسِ بِالْأَمْنِ
فِيحْسِبُهُ مَاءً فَوَافَاهُ لَمْ يُغْنِ

11. [الناس على ثلاثة]: وإنَّ الناسَ عندنا ثلاثة

أصناف، صنف: قد تقدّم ذكرهم.

وصنف: مضادّون لهم، ومخالفون إيّاهم وهم

المنافقون، الذين آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم،

الكافرون كفر نفاق الضّالّون الفاسقون المجرمون،

لهم ما لنا وعليهم ما علينا من أحكام التّوحيد

كمناكحة وموارثة ومدافنة والصّلاة معهم وعليهم، وعَدَمُ

قتلهم وسبّي ذراريهم وغنيمة أموالهم.

وصنف: جاحد لله سبحانه أو مُساوٍ له بخلقه، وهم

المشركون الذين حلّ قتلهم وسبّي ذرّيّاتهم وغنيمة أموالهم،

وحرّم نكاحهم وإرثهم وذبيحتهم وغير ذلك من أحكام التّوحيد.
فهذه ثلاث منازل على ما أشار إليها ربّنا سبحانه
بقوله من أوّل سورة البقرة إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 1-19]،

وقوله: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ
وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 73]. وفي هذا المقام كلام طويل فليراجع
في الكتب المبسوطة.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ معطوف على ما قبله عطف
مسبّب على سببه، وفرع على أصله واسمه،
و﴿الصَّالِحَاتِ﴾ جمع صالحة بتعريف الجنس بمعنى
الخصال التي فيها مراعاة حقّ الله تعالى، من امتثال أوامره
 واجتناب نواهيه سرّاً وعلانية.

ولنضرب للمستثنى الواقع بعد ﴿إِلَّا﴾ المأخوذ من
العموم الذي في المستثنى منه، مثلاً بديعاً:

وهو أن المرء في مساعيه ومكاسبه الدنيوية إذا أراد
سفر التجارة وطلب ربح [مثلاً] فإنه يختار لنفسه زاداً قوياً
لذيذاً من أطيب عيشه، ويهيئ قراباً صحيحة ونعلاً جديداً
متيناً وجميع ما يفتقر إليه ليقطع المفاوز البعيدة، وجمالاً قوية
سالمة المتن ليكون آمناً مطمئناً في جميع ما يحمله عليها،

ويحمل جميع ما عنده من السوالم النفيسة سلعة بعد
سلعة، فلا يترك وراءه حين قصد ما ذكر أقل سلعة ظن فيها
ربحاً ما إلا ويحملها معه رجاءً لذلك،

فإذا قفل لبلده من بعد غيوبته سالماً ولم يمسه سوء ما
في طريقه ولا آفة في سبيله ولا ربح في تجارته، ورأس ماله
واقف مع صحة بدنه فذلك هو الربح العظيم والفوز الكريم.

فإذا كان ما ذكر في الأمور الدنيوية كذلك، فلأن
يكون في الأمور الأخروية من باب الأولى،

وإن الصنف الأول من الثلاثة في أول أمره على فطرة
الإسلام حتى يصل حد التكليف ويبلغ أوان الإدراك فيجب

عليه حينئذٍ بعد زاد التَّقْوَى أن يُقرَّ بتوحيد خالقه، ومعرفة صانعه، وما اشتمل على التَّوْحِيد من خِصَالِهِ التي هي من أنفس سِوَالِهِ، مع أوَّل بلوغه،

[ركن الصَّلَاة]: ثمَّ يتقدَّم لسلعة بعد سلعة كصلاةٍ

بشروط قبلها من نيةٍ وتطهيرٍ بدنٍ ومحلٍ ولباسٍ بطهورٍ موجودٍ أو بدَلٍ مع عدمه وقيامٍ عذرٍ، وشمورٍ بعد شروعٍ بأقوالٍ وأفعالٍ مخصوصةٍ، من مَفْرُوضَاتِهَا وَمَسْنُونَاتِهَا وسائرٍ وظائفها من تكبيرٍ وإحرامٍ إلى تسليمٍ تحليلاً.

[ركن الزَّكَاة]: وزكاةٍ في نوعٍ معلومٍ مع وجود

شرطٍ وارتفاعٍ مانعٍ،

[ركن الصِّيَام]: وصومٍ شهرٍ بتقدُّمٍ نيةٍ وإمساكٍ عن مفطرٍ،

[بقية الأركان والشروط]: وحجٍّ بيتٍ لمستطيعٍ،

وجهادٍ عدوٍّ ظاهرٍ وباطنٍ، وأمرٍ بعرفٍ كإخلاصٍ

عملٍ ووظائفٍ ميّت⁽¹⁾، وصلاةٍ على مولانا محمدٍ عليه الصَّلَاة

1- المراد القيام بحقوق موتى المسلمين من غسل وكفن وصلاته عليه.

والسّلام [ولو] مرّة،

وتوبة من ذنب واستغفار من عيب، وطاعة والد،
وإحسان قريب وجار، ونصيحة مسلم،

وصون كلّ جارحة بالغٍ عاقلٍ عن كلّ محرّم،
وغير ذلك من واجب ومندوب أكيدٍ وغير أكيد،
وتأسُّ بمشرّعٍ في مباح غير مخصوص به،

ونهيٌّ عن نكر قدر طاقة وإن بقلب: إمّا بتحريم كشرك بالله
سبحانه مُساواةً أو جحداً، أو بإنكار خصلة توحيد من
كتاب ورسول، وبعثٍ وحسابٍ وعقابٍ وثوابٍ،
وإقامة غير الله مقامه في اختراع أو نسبته لمخلوق،
والتقرُّبُ إليه بطاعة وإلى الله تعالى بمعصية، وداعٍ لعبادة نفسه.

ويَقْرُبُ منه ما ركب بمخلوق من هلع وجزع، وعدم
ثقة بما في يد الله سبحانه،

أو نفاقٌ خلف كتحليل حرام، وتحريم حلال وغير
ذلك ممّا اتّخذهُ أهل البدع ديانةً،

أو خيانةٌ كترك واجب دون توحيد، مثل ما تقدّم
وارتكابُ محرّم كقتل نفس وزنى بشخص، وإنْ بهيمةً،
وأخذُ مال بتعدية وشربة خمر، وقذفُ محصنٍ، وشهادة
زور، وكتماؤها، وكذبٌ وغيبةٌ ونميمةٌ، وخيانةٌ،
والنّظرُ لعورة بالغ، ومتعرّضٌ إليه،

[حدّ العورة]:

وهي من سرّة رجل لركبة كأمة، بخلاف امرأةٍ فإنّها
كلّها عورة ما خلا وجهها ويديّها، لترتب الأحكام الشرعية
عليهما إن كان، لا لشهوة،

ولمسُ بدنٍ أجنبية وإن من فوق ثوب،
وقطيعة رحم وعقوق والد، وظلمٌ وحكمٌ بجور، ويمين
غموس، وتزيينُ سلعة بيمين، وسوءُ ظنٍّ بمسلم، وسحرٌ،
وإياسٌ من رحمة، وأمنٌ عذابِ الله،

وقسمةٌ إرث على وجه غير شرعي، ورغبةٌ في غير مباح،
وحمية وغضب، وحسد وكبر وعُجب ورياء، ومكر وحقد،

وبيع حرّ ودخول حمام بلا إزار.
 وكلُّ كبيرة أوجب الله [عليها] سبحانه نكالا في
 الدُّنيا، وعقابا في الآخرة، فهي إلى سبعمائة أقرب، أو صغيرة
 مُصرٍ عليها، فإنَّ هاتين لا تغفران إلاَّ بتوبة مع شروط،
 وأمّا المطلقة فمغفورة باجتناب كبيرة وعمل طاعة،
 واختلف فيها.

ثالثها أنَّها موجودة غير معلومة، أو كراهةٌ شديدة
 كإنفاق رديء والسؤال عن مغم أو غيرها، كنسيان فضل أو
 شرب قائم، فهذا وأمثاله من الأعمال الصالحات،

[حُكْمٌ مِنْ يَعْمَلُ الصَّالِحَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ مَعًا:]

واختلف في عامل الحسنات والسيئات كما قال تعالى:
 ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: 102] و﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ
 يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: 114].

فقل المدار على الخاتمة،

وقيل إنَّها تحصى عليه حتَّى يموت فأَيُّهما أكثر جوزي به،

وقيل: كلما عمل حسنة محتها سيئة بعدها،
 وقيل: إنه إذا تاب رُدَّ إليه ثوابُ حسناته ولكلُّ دليل،
 والتَّارِكُ لفريضة والمرتكبُ لكبيرة، والمصرُّ على صغيرة
 يحبط الله عمله، ويجعله هباء منثورا ولا يقبل الله منه صرفا ولا
 عدلا ما لم يتب،

بدليل أن إبليس اللعين لما أبى من السجود لآدم عليه السلام
 وأصرَّ عليه أبلسه الله سبحانه من رحمته، ولعنه وأحبطَ عمله،
 بعد أن عبد الله ووَاحِدَهُ وأطاعه ثمانين ألف سنة،
 وأنَّ آدم عليه السلام لما ارتكب معصية وأسرع إلى التَّوبَةِ
 وبادر إلى الإنابة بعد الاعتراف بالخطيئة تاب الله مولانا عليه،
 إنه هو التَّوَّابُ الرَّحِيمُ،

فلو أصرَّ على ذلك لاستحقَّ من الله ما استحقَّ منه
 إبليس اللعين،

وانظر إلى أصحاب السِّبْتِ وطالوت وقوم موسى عليه السلام،
 حين ارتكبوا نَهْيَ اللَّهِ ولم ينتهوا، وما صارَ فيهمُ على ما أخبر

الله عنهم،

ومّا يدلّ على ذلك قوله عليه الصّلاة والسّلام: «الرّياءُ يُحِبُّ الْعَمَلَ كَمَا يُحِبُّهُ الشَّرُّ بِاللّهِ»⁽¹⁾ و«يَجِيءُ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ أَمْثَالُ جِبَالٍ تُهَامَةٌ، وَهُمْ يُصَلُّونَ وَيُزَكُّونَ وَيَصُومُونَ وَيَحُجُّونَ وَيَأْخُذُونَ وَهَنًا مِنَ اللَّيْلِ، لَكِنْ إِذَا لَاحَتَ لَهُمْ شَهَوَاتٌ وَثَبُّوا إِلَيْهَا، إِذْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ سَرِيرَةٌ فَصَيَّرَهُمُ اللَّهُ إِلَى النَّارِ»⁽²⁾.

[حكم المرتكب للكبائر من المسلمين]:

والمرتكب لكبيرة والمضيّع لفريضة يسمّى عندنا موحدًا منافقًا كَافِرًا كُفْرَ نِفَاقٍ، عَاصِيًا ضَالًّا فَاسِقًا مُجْرِمًا بَارِئًا مِنَ الشَّرِّ، وَانْعَرَى مِنَ الْإِيمَانِ وَوُسِمَ بِحِلْيَةِ النِّفَاقِ وَالْعَصِيَانِ، مَذْبَذِبًا بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ الْعَظِيمُ: ﴿مُذَبَذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النساء: 143] و﴿مَا هُمْ مِّنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلَفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة: 14]

1- ورواه الربيع باب 10 ذكر الشرك والكفر رقم: 66 بلفظ "الرياء...".

2- ورواه الربيع ج4، رقم: 963، من حديث جابر مرسلًا.

﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ [التوبة: 56]،

وقال ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ أَوْ وَاحِدَةٌ فَهُوَ مُنَافِقٌ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ مَنْ إِذَا تَحَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»⁽¹⁾. و«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِفَصْلِ مَا بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْمُنَافِقِ؟ إِنَّ الْمُنَافِقَ إِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَهَمُّهُ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ وَأَمْرُ دُنْيَاهُ، وَالْمُؤْمِنُ بِخِلَافِهِ»⁽²⁾.

[معاني العمل]: والعمل الفعل، وأَعْمَلَ رأيَه ألفه

واستعمله، عمل به، وَعَمِلَ وَعَمُولٌ ذو عمل، أو مطبوعٌ عليه، وَالْعَمَلَةُ الْعَامِلُونَ بأيديهم، وبنوا العمل المشاة،

وَالْيَعْمَلَةُ: الناقة النجبية، وَعَمِلَ البرق: دَامَ، وللجمل

يعمل، والشَّيْءُ فِي الشَّيْءِ أَحْدَثَ فِيهِ نَوْعًا مِنَ الْإِعْرَابِ،

وبنو عاملة بن سبإٍ حَيٌّ مِنَ الْيَمَنِ، وَالْعَمَلَةُ السَّرِقَةُ أَوْ

الخيانة، والمعمول من الشَّرَابِ مَا فِيهِ اللَّبَنُ وَالْعَسَلُ، ويوم

1- رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق رقم: 34 من حديث ابن عمرو.

2- ورواه الربيع في مسنده: ج4، رقم: 925، من حديث جابر مرسلاً.

اليعملة من أيام العرب.

[معاني الصّلاح]: والصّلاح والصّلوح الطّاعة وضدّه

الفساد، وصّح وصّاح، وأصلحه وإليه أحسن، والصّح السّلم واسم جماعة، وصلاح مكة، والمصلحة واحدة المصالح،

﴿وتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ أي أوصى بعضهم بعضاً أولّهم

آخِرهم سابقهم لاحقهم، حاضرهم غائبهم، من لدن سيّدنا محمد ﷺ إلى الأبد،

و﴿بالحقِّ﴾ أي الثابت عند الله الذي لا يصحّ إنكاره،

وفي نفس الأمر من اعتقاد صحيح وعمل صريح،

متعلّق بـ﴿تواصوا﴾ معطوف على ما قبله، عطف

ترادف تأكيداً في مبالغته، فإنّ ما تفيده هذه تفيده الأولى،

وإلى هذه الوصيّة الحقيّة أشار الله سبحانه بقوله:

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ

اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: 131] و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ

تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]،

وقوله عليه الصّلاة والسّلام لما حان وقت رحيله من الدّنيا جمع أصحابه بيت عائشة [رضي الله عنها] وأوصاهم بوصيّة عجيبة وموعظة بليغة، وحذّرهم من عذاب الله سبحانه، ومن الفتنة التي تحدّث بعده وأمرهم ونهاهم، وأن لا يعلوا على الله وعباده في بلاده، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: 83] و﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: 60].

وقال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ مِنَ الدُّنْيَا أَنْ تَتَنَافَسُوا فِيهَا فَيَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي قَدْ أُعْطِيتْ خَزَائِنَ الدُّنْيَا وَرُفِعَتْ إِلَيَّ أَنْظَرُ إِلَيْهَا وَلَمَّا هُوَ كَائِنٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ نَظَرْتُ مِنْ مَقَامِي هَذَا لِحَوْضِي» ثمّ قال «إِنَّ عَبْدًا خَيْرَهُ رَبُّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ

فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ»⁽¹⁾.

فبكى أبو بكر الصديق رضي الله عنه بكاء شديداً لكونه أعلم الناس بمقاصده. وقاله له يا رسول الله فدينك بأنفسنا وأموالنا وأولادنا وآبائنا وأُمَّهاتنا،

فتعجبوا من قوله، وقالوا انظروا إلى هذا الشيخ وكلامه فشرع عليه السلام في الثناء عليه بما لا يقع فيه اختلاف في خلافته بعده فتحققوا فراقه.

وقال: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، وَمَا زَالَتْ أَكْلَةٌ خَيْرٌ تُعَاوِدُنِي، فَهَذَا أَوْ أَنْ انْقِطَاعِ أَبْهَرِي.

أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكُمْ أَنَّكُمْ جَزَعْتُمْ بِمَوْتِي، وَهَلْ مُخَلِّدٌ مَنْ كَانَ قَبْلِي؟ فِيمَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ حَتَّى أُخَلِّدَ فِيكُمْ، أَلَا إِنِّي لَأَحِقُّ بِرَبِّي وَأَنْتُمْ لَأَحِقُّونَ بِهِ، فَأَوْصِيكُمْ بِالْمُهَاجِرِينَ خَيْرًا وَأَوْصِيهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ، ﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ

لَفِي خُسْرٍ...»

وَإِنَّ الْأُمُورَ تَجْرِي بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ أَمْرِ عَلَى تَعْجِيلِهِ فَإِنَّ مَنْ تَعَجَّلَ بِشَيْءٍ قَبْلَ أَوَانِهِ عُوْقِبَ بِحَرْمَانِهِ...» إلى آخر الحديث⁽¹⁾. فعليك في شرح دياجة الدليل،

وهذا الحديث هو الذي أُلْجَأُني لشرح السورة وكذا ما قاله في حجة الوداع⁽²⁾، ويوم الفتح الأكبر،

وقوله ﷺ: «أَلَا إِنَّ كَلَامَ الْمَرْءِ كُلَّهُ عَلَيْهِ لَا لَهُ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيٍ عَنْ مَنكَرٍ أَوْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى»⁽³⁾.

كما قال سبحانه: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 113].

1- انظر محمد رضا: محمد رسول الله ﷺ، ص 448.

2- انظر السيرة النبوية لابن هشام، ج 14، ص 259.

3- رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب حفظ اللسان، رقم: 2525 من حديث أم حبيبة.

وقد ذكرت⁽¹⁾ في هذه الآية كلاما حسنا في الأمثال المضروبة فهو بعينه مثل ما في السورة المذكورة.

﴿وَتَوَاصَوْا﴾ أصله تَوَاصَيُوا اسْتُثْقِلَتِ الضَّمَّةُ عَلَى الْيَاءِ فحذفت، فالتقى ساكنان ياء الكلمة وواو الجماعة فحذفت الياء، لكونها جزء كلمة، فحرّكت الصّاد بحركة تجانس الواو، وهي الضَّمَّةُ وفيه طريقة أخرى.

وقوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾، أوصى بعضهم بعضا، أو أولّهم وآخرهم،

وأوصاه ووصّاه عَهِدَ إِلَيْهِ، والوصية الموصى به، والوصي الموصي والموصى، ويوصيكم الله يفرض عليكم.

[معاني الحق]: والحق اسم من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ أو صفة من صفاته، وضدُّ الباطل، والقرآن، والأمرُ المقتضي، والموت والحزم، وواحدُ الحقوق، وحقيقة الأمر،

وَسَقَطَ عَلَى حَقٍّ رَأْسُهُ وَسَطَهُ، وَحَاقَ الرَّجُلُ

1- لعلّه يشير إلى حاشيته على البيضاوي عند تفسيره لهذه الآية.

والشَّجَاعُ [كان] كاملاً فيها.
 والحاقة النّازلة الثّابتة، والقيامة لأنّ فيها حواق الأمور،
 أو يَحِقُّ لكلِّ قوم عملهم،
 وحقّه وأحقّه غلبه على الحقّ، والشّيء أوجبّه،
 والطّريق ركب وسطه، وفلاناً ضربهُ في حاقّ رأسه أو حقّ
 كتفه للنقرة التي في رأسه،
 والأمرُ وجب ووقع بلا شكّ، وحقّقته تيقّنُهُ، وفلاناً
 أتته وهو حقيقٌ به جدير،
 والحقيقة ضدّ المجاز، وبناتُ الحقيق تمرّ، وكذا سلام
 بن أبي الحقيق اليهودي، قتله عبد الله بن عتيكا بأمر رسول
 الله ﷺ وله قصّة عجيبة⁽¹⁾.
 والحقّة الدّاهية، والمرأة، وبيت العنكبوت، ورأس
 الورك الذي فيه عظم الفخذ، ورأس العضد، والأرض
 المستديرة أو المطمئنة.

والْحَقُّ بِالْكَسْرِ مِنَ الْإِبْلِ الدَّاحِلِ فِي الرَّابِعَةِ، وَالْمَحَقُّ مِنَ
الْكَلَامِ الرَّصِينُ وَمِنَ الثِّيَابِ الْمَحْكُمُ النَّسِجُ،
وَالْإِحْتِقَاقُ الْإِخْتِصَامُ، وَتَحَقَّقَ الْخَبَرَ صَحَّحَهُ،
وَحَاقَهُ خَاصَمَهُ،

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ معطوف على ما قبله عطْفٌ
خاصٌّ على عامٍّ،

وَالصَّبْرُ لُغَةً هُوَ مَطْلَقُ الْحَبْسِ، وَحَقِيقَتُهُ هُوَ قُوَّةُ
نَفْسَانِيَّةٍ تُوجِبُ كَفَّ النَّفْسِ عَنِ الْمَحْرَمَاتِ، وَتُحَمِّلُهَا عَنْ أَدَاءِ
الْوَاجِبَاتِ، وَحَبْسُهَا عَنْ جَزَعٍ عِنْدَ نَزُولِ الْبَلِيَّاتِ،
وَلِعَظَمِ مَوْقِعِهِ وَنَبَاهَةِ شَأْنِهِ وَرَفْعَةِ مَحَلِّهِ أَشَارَ رَبَّنَا إِلَيْهِ
وَنَوَّهَ بِهِ فِي نَيْفٍ وَسَبْعِينَ [آيَةً] مِنْ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ:

[الآيات]:

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى

الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: 45]،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 153]،

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 155]،

﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ [البقرة: 177]،

﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 66]،

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 146]،

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ

الْأُمُور﴾ [آل عمران: 186]،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران: 200]،

﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النساء: 25]،

﴿وَقَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ [الأعراف: 128]،

﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأُنْفَال: 46]،
 ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [هُود: 11]،
 ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا
 صَبَرُوا﴾ [الأعراف: 136]،

﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هُود: 115]،
 ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: 22]،
 ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: 24]،
 ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: 42]،
 ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 96]،

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ
 جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 110]،
 ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ
 لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: 126]،

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: 127]،

﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ
وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾ [الحج: 35]،

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [المؤمنون: 111]،
﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان: 75]،
﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا
صَبَرُوا﴾ [القصص: 54]،

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا
صَبَرُوا﴾ [السجدة: 24]،

﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10]،
﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ
الْأُمُورِ﴾ [الشورى: 43]،

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ
وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد: 31]،

﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: 12]. وغيرها
من الآيات إلى تمام عدتها.

[الأحاديث]:

وكذا ما أشار إلى فضيلته في أحاديث نبوية نحو قوله عليه الصلاة والسلام: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنَادِي مُنَادٍ أَيْنَ الصَّابِرُونَ؟ لِيَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ،

فَيَقُومُونَ فَتَلْقَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ، فَيَقُولُونَ لَهُمْ مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا نَحْنُ الصَّابِرُونَ، قَالُوا وَمَا كَانَ صَبْرُكُمْ؟

قَالُوا صَبَرْنَا عَلَى طَاعَةِ رَبِّنَا حَتَّى أَدَّيْنَاهَا وَعَلَى تَرْكِ مَعْصِيَتِهِ حَتَّى تَوَفَّانَا عَلَى ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ لَهُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ»⁽¹⁾.

وقال تعالى: «إِذَا وَجَّهْتُ إِلَى عَبْدِي مُصِيبَةً فِي بَدَنِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ أَوْلَادِهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَنِي بِصَبْرٍ جَمِيلٍ اسْتَحَيْتُ مِنْهُ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ أَنْ أَنْصِبَ لَهُ مِيزَانًا أَوْ أَنْشُرَ لَهُ دِيْوَانًا»⁽¹⁾،
 وَ«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةً يُقَالُ لَهَا الْبَلْوَى، فَيُؤْتَى بِأَهْلِهَا يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ فَلَا يَرْفَعُ لَهُمْ دِيْوَانٌ وَلَا يَنْصَبُ مِيزَانٌ وَيَصَبُّ عَلَيْهِمُ الْأَجْرَ
 صَبًّا صَبًّا فَقَرَأَ ﴿إِنَّمَا يُؤَفِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾⁽²⁾.
 وَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا دَخَلَ قَبْرَهُ قَامَتِ الصَّلَاةُ عَنْ يَمِينِهِ
 وَالزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ وَالْبِرُّ يَظْلُهُ وَالصَّبْرُ خَلْفَهُ فَيَقُولُ دُونَكُمْ
 صَاحِبِي إِنْ اسْتَطَعْتُمْ دَفْعَ الْعَذَابِ عَنْهُ فَافْعَلُوا، وَإِلَّا فَأَنَا
 أَكْفِيكُمْ ذَلِكَ عَنْهُ».

و«مَنْ أُعْطِيَ فَشَكَرَ وَابْتُلِيَ فَصَبَرَ وَظَلِمَ فَغَفَرَ فَأُولَئِكَ لَهُمُ
 الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ»⁽²⁾، و«فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ»⁽³⁾،
 و«مَنْ رَزَقَ ثَلَاثَةَ رُزُقٍ خَيْرَ الدَّارِينَ، الصَّبْرُ عَلَى الْبَلَاءِ

1- المناوي، الإتحافات السنية: ص16. وقال: رواه القضاعي والديلمي والحكيم الترمذي عن أنس.

2- أورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ج10، ص284.

3- أورده الغزالي في الإحياء: ج4، ص59. وقال العراقي: أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس بلفظ "اعبد الله على الرضا واليقين وفي الصبر على ما تكره خير كثير".

والرِّضَاءُ بالقضاء والدَّعَاءُ في الضَّرَاءِ»،

و«من أقلّ ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصّبر، ومن أعطي حظاً منه لم يُبال من قيام ليل ولا صيام نهار، ولأنّ تصبروا على ما أنتم عليه أحبُّ إليّ من أن يوافيني كلّ واحد منكم بمثل جميعكم»⁽¹⁾،

«ما من جرعة أحبُّ إلى الله من جرعة غيظٍ كَتَمَهَا وجرعة صَبْرٍ على مصيبة»⁽²⁾، وإنّ المعونة تأتي من الله سبحانه على قدر المؤونة،

و«الصّبر على قدر المصيبة»⁽³⁾، والصّبر والحلم

1- الغزالي، إحياء علوم الدين: ج4، ص58.

2- روى نحوه ابن المبارك في الزهد: ج1، ص335. وزيادة: "ما من قطرة أحبُّ إلى الله وعَجَلٌ من قطرة دمعٍ مع خشية الله، أو قطرة دم أهرقت في سبيل الله وعَجَلٌ" من حديث الحسن. كما روى شطره الأوّل البخاري في الأدب المفرد. والغزالي في الإحياء: ج4، ص133 من حديث ابن عمر.

3- أورده أبو نعيم في حلية الأولياء: ج3، ص195. مع زيادة من كلام جعفر بن محمّد. وأوّل قوله: "الصّلاة قربان كلّ تقي، والحجّ جهاد كلّ ضعيف... والله منزل الصّبر على = قدر المصيبة، ومنزل الرزق على قدر المؤونة ومن قدر معيشته رزقه الله تعالى، ومن بذّر معيشته حرّمه الله تعالى".

والسَّخَاءِ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ،

وَأَنَّ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ قَالَ:

يَا رَبِّ أَيِّ مَتَرَةٍ مِنْ مَنَازِلِ الْجَنَّةِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ:

«حَظِيرَةُ الْقُدُسِ»، قَالَ: وَمَنْ يَسْكُنُهَا يَا رَبِّ؟ قَالَ:

«أَصْحَابُ الْعِزَائِمِ»، قَالَ فَصِفْهُمْ لَنَا يَا مُوَلَانَا قَالَ:

«هُمْ الَّذِينَ إِذَا ابْتَلَيْتُهُمْ صَبَرُوا، وَإِذَا أَنْعَمْتُ عَلَيْهِمْ

شَكَرُوا، وَإِذَا أَصَبْتُهُمْ اسْتَرْجَعُوا»⁽¹⁾،

وَلَا يَكْمَلُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونَ مُسْتَسْلِمًا لِأَمْرِ اللَّهِ وَمُتَوَكِّلًا

عَلَيْهِ، وَرَاضِيًا بِقَضَائِهِ وَصَابِرًا عَلَى بَلَائِهِ،

«وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَصَابَهُ خَيْرٌ حَمْدُ اللَّهِ وَشُكْرٌ، وَإِذَا أَصَابَتْهُ

مُصِيبَةٌ حَمْدٌ وَصَبْرٌ، فَهُوَ مَأْجُورٌ حَتَّى اللَّقْمَةُ يَرْفَعُهَا لِفِيهِ»،

وَأَنَّ الصَّبْرَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ بِثَلَاثِ مِائَةِ دَرَجَةٍ، وَعَلَى

مُصِيبَتِهِ بِسِتِّمِائَةِ دَرَجَةٍ، وَعَلَى مَعْصِيَتِهِ بِتِسْعِ مِائَةِ دَرَجَةٍ، مَا

1- أورده الزرعي في مدارج السالكين، ج2، ص394. وعلق عليه بقوله: فلا يقدر عليه

إلا أرباب العزائم الذين لا تستفزهم السراء فتغلب شكرهم ولا تضعفهم الضراء

فتغلب صبرهم كما قيل.

بين الدّرجتين كما بين السّماء والأرض.

وقال الله سبحانه لعيسى عليه السلام: «يا عيسى إني باعثُ من بعدك أُمَّةً إن أصابهم ما يُحِبُّون حمدوا الله وشكروه، وإن أصابهم ما يكرهون اجتنبوا وصبروا من غير علم ولا حلم»، قال «وكيف هذا يا ربّ؟ قال أعطهم من علمي وحلمي»⁽¹⁾.

وأوّل ما كتب في اللّوح: «من استسلم لقضائي وشكر لنعمائي وصبر على بلائي كتبه صدّيقاً، ومن لم يستسلم لقضائي ولم يشكر لنعمائي ولم يصبر على بلائي فليخرُجْ من تحتِ سماءي، ومن فوق أرضي، فليَنظُرْ إلهاً غيري،

وإنّكم لا تُدركون ما تحبّون إلّا بصبركم على ما

1- رواه البيهقي في الشعب: ج7، ص190. وأبو الدرداء وأبو نعيم في الحلية:

ج1، ص227. والمنذري في الترغيب والترهيب: ج4، ص140. وقال: رواه الحاكم.

وقال: صحيح على شرط مسلم.

تكرهون»⁽¹⁾،

وإنه مرّ ذات يوم بالبقيع على امرأة جاثية بقبر تبكي فقال لها: «يا أمة الله اتّقي الله واصبري»، فقالت له يا عبد الله أنا الحرّاء الثّكلى فرجعت للبكاء، فقال: «يا أمة الله اتّقي الله واصبري»، فقالت: يا عبد الله لو كنت مصاباً عذرتني، فقال لها: «اتّقي الله واصبري»، فقالت يا عبد الله: قد سمعتُ وانصرف عني، فمضى عليه الصّلاة والسّلام، وعلى أثره رجل فوقف عليها، فقال:

ماذا قال لك ذلك الرّجل الذّاهب؟ قالت له: قال لي: كذا وكذا، فقال لها: هل عرفتيه؟ قالت: لا، قال:

ويحك، ذلك رسول الله ﷺ، فوثبت بسرعة إليه، وهي تقول: أنا أصبر يا رسول الله، أنا أصبر يا رسول الله، ما عرفتك، فقال عليه الصّلاة والسّلام: «إنّما الصّبر عند

1- ذكره القرطبي في تفسيره: ج 19، ص 298. من حديث ابن عبّاس وأوّله: "إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا..." بدون ذكر الجملة الأخيرة.

الصّدمة الأولى»⁽¹⁾.

«وما من امرأة منكن يموت لها ثلاثة أولاد إلا كانوا لها حجاباً من النار، فقالت: واحدة، واثنان يا نبي الله؟ قال: واثنان»⁽²⁾.

وأنت إليه أخرى بصبيّ وقالت أمّه: «يا رسول الله أدعُ الله له لقد دفنت ثلاثاً، فقال لها: قد احتظرت بحظّارٍ شديد من النار»⁽³⁾.

«وَمَنْ دَفَنَ ثَلَاثًا فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»،

1- رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، رقم: 1323. ومسلم في كتاب الجنائز باب الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى، رقم: 926 من حديث أنس مع اختلاف في النصّ.

2- رواه البيهقي في الشعب: ج 7، ص 132. من حديث أبي سعيد الخدري، وأوّل الحديث قوله: "جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلّمنا ممّا علّمك الله..." وقال: رواه البخاري في كتاب الجنائز باب تعليم النبي ﷺ أمّته من الرجال والنساء... رقم: 6880. ومسلم في كتاب الجنائز. باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه رقم: 2633. من حديث أبي سعيد الخدري.

3- رواه مسلم في كتاب الجنائز باب فضل من يموت له ولد فيحتسب. رقم: 2636. من حديث أبي هريرة مع اختلاف في اللفظ. والبيهقي في الشعب: ج 7، ص 132. من حديث أبي هريرة.

فقلت له أمّ أيمن: واثنان؟ قال: واثنان، فقالت: وواحد، فسكت ثم قال: وواحد، «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ السَّقَطَ ليجرُّ أُمَّهُ بِسُرْرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ [إِذَا احْتَسَبْتُهُ]»⁽¹⁾.

وَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نُودِيَ فِي أَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ أَنْ امضُوا زُمَرًا إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ يَا رَبَّنَا وَوَالِدَيْنَا؟ فَيَقُولُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَوَالِدَيْكُمْ مَعَكُمْ، فَيَثْبُ كُلُّ إِلَى وَالِدَيْهِ فَيَأْخُذُونَ بِأَيْدِيهِمْ فَيُدْخِلُونَهُمُ الْجَنَّةَ فَهُمْ أَعْرَفُ بِآبَائِهِمْ وَأُمّهَاتِهِمْ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَوْلَادِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ»⁽²⁾.
وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لَجَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَدْخِلْ ذُرَارِي الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ فَيَسُوقُهُمْ وَهُمْ يَصِيحُونَ كَالْخُرْفَانِ لِأُمّهَاتِهِمَا، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ:

1- أورده المنذري في الترغيب والترهيب: ج3، ص57 من حديث معاذ. وقال: رواه أحمد في مسنده: ج5، ص241 رقم: 22143. وأول الحديث: "ما من مسلم يتوفى لهما ثلاثة إلاّ أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته إياهما..." من حديث معاذ. وقال رواه الطبراني في الكبير: ج20، ص145. رقم: 299.

2- أورده الخطيب البغدادي في تاريخه بما يقارب معنى: ج5، ص56. بلفظ: "وكأنّ صبيانا يأخذون بأيدي آبائهم فيدخلونهم الجنة..." الخ.

«ما لهم يا جبريل؟» فيقول يا ربّ أرادوا آباءهم وأُمَّهاتهم، فيقول:

أدخلهم بجميعهم جنّتي بفضلِي ورحمتي .

ويجمع الله عَجَلَك ذراري أمة محمد عليه الصّلاة والسّلام في حياض تحت العرش فيَطْلَعُ عليهم، فيقول لهم: «مالي أراكم رافعي رؤوسكم؟» فيقولون: «يا ربّنا الآباء والأُمَّهات في عَطَش شديد، ونحن على هذه الحياض»، فيوحي إليهم أن اغرفوا منها في هذه الأواني عدد نجوم السّماء عليها ثمّ خلّلوا هذه الصّفوف إليهم فاسقوهم.

وإنّه عزى ﷺ رجلاً من أصحابه في ابنه تُوفي، فقال له يا رسول الله إنّني شيخ كبير وكان ابني هذا أجزعني، فقال له عليه الصّلاة والسّلام: «أيسرّك أن يتلقاك بكأس من الجنّة؟» فقال من لي بذلك يا نبي الله؟ قال: «الله لك به ولكلّ مسلم مات له ولدٌ في الإسلام».

(ورأيت البارحة رجلاً من أمّتي قد احتشّرتة ملائكة

العذاب فجاءه وضوءه فاستنقذه منهم،
وآخر من أمّتي قد خَفَّ ميزانه فثَقَّلَه أفراطه⁽¹⁾،
ولسَقَطُ أَقْدَمِهِ بين يدي أَحَبُّ إِلَيَّ من مائه فارس تقاتل في
سبيل الله،

«ولأنَّ يولد لي مولود أحسن الله نباته حتّى إذا استوى
قَبْضُهُ اللهُ أَحَبُّ إِلَيَّ من الدّنيا وما فيها»⁽²⁾.

وما قدّم الرّجل شيئاً بين يديه أقربُ إليه ولا أعظم
أجرًا من ولد يموت قبله، وإنَّ أولاد المؤمنين يكفلهم
إبراهيم عليه السلام حتّى يردهم لأبائهم.

وقال عليه السلام لابنه إبراهيم: «تمامُ رضاعك يا ابني في
الجنة»، فإنّه مات وهو ابن ستة عشر شهرا،

1- أفراطه: جمع فرطٍ وهو من مات من الأولاد ولم يُدرِك.

2- أورده ابن المبارك في الزهد: ج1، ص158. من حديث مسلم الخولاني وأبو الفرج في
صفة الصفوة: ج4، ص213.

وإنَّ في الجنة شجراً لها ضروع كضروع بقرة ترضع الصبيان، وحاضنهم خليل الرحمان، ولا عليهم حساب ولا سؤال، ويؤتى بهم وقد اشتدَّ عليهم حرَّ الموقف فيقول الله أَظْلُوهمْ تَحْتَ عَرْشِي.

وكان لأنصاري ابن يروح معه لرسول الله ﷺ فقال له وهو في مرضه: أجزعت عليه؟ قال له: نعم يا رسول الله، فقال له: أَوْ تَرْضَى أَنْ يَكُونَ مَعَ ابْنِي يَلْعَبُهُ تَحْتَ عَرْشِ رَبِّي؟ قال: بلى يا رسول الله، وقد أمر بالاسترجاع عند المصيبة حيث قال:

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾ الآية، ولا يخفى ما فيها من الفوائد كما قال سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «نعم العدلان: (الصلوات والرحمة) ونعمت العلاوة: (الاهتداء)»⁽¹⁾.

1- رواه البيهقي في الشعب: ج2، ص221. والزرعي في إغاثة اللّهفان، كما ذكره الغزالي في الإحياء:

ج4، ص62. من حديث عمر بن الخطاب.

وما استرجع أحد بعد المصيبة وإن تقادم عهدها ولو
بعد أربعين سنة إلا جدد الله وعجزك له أجرها مثل ما كان له
يوم أصيب،

وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: قد سمعت من رسول
الله عليه الصلاة والسلام:

«ما من عبد تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَاسْتَرْجَعَ وَقَالَ: اللَّهُمَّ
عِنْدَكَ احْتَسَبْتُ مُصِيبَتِي، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلِفْنِي
خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»⁽²⁾.

«مَنْ اسْتَرْجَعَ عِنْدَهَا جَبَرَ اللَّهُ مُصِيبَتَهُ وَأَحْسَنَ عُقْبَاهُ
وَجَعَلَ لَهُ خَلْفًا صَالِحًا يَرْضَاهُ»⁽³⁾،

وَقَدْ أُعْطِيَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ شَيْئًا لَمْ يَعْطِهِ لغيرهم عند نزولها وهو
«إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»،

2- رواه مسلم في كتاب الجنائز باب ما يقال عند المصيبة رقم: 918 والبيهقي في الشعب: ج7، ص118،
رقم: 9697. بدون ذكر: "اللهم عندك احتسب مصيبتى". من حديث أم سلمة.

3- أورده المنذري في الترغيب والترهيب: ج4، ص173. وقال: رواه الطبراني في الكبير: ج12، ص255،
رقم: 13027 من حديث ابن عباس.

وإذا مات ولد العبد قال الله سبحانه لملائكته: قبضتم
ولد عبدي وثمره فؤاده؟ فيقولون نعم، فيقول ماذا قال حينئذ؟
فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول:
ابنوا لعبدي يا ملائكتي بيتا في الجنة وسمّوه بيت الحمد»⁽⁴⁾.
ولنقتصر على ما ذكر من الأحاديث النبوية فإنّ فيه كفاية.
خاتمة مستطرفة ذيلتُ بها هذه السّورة، ونسأل الله
فَظْلَهَا وَحُسْنَ الخاتمة.

4- رواه الترمذي في باب فضل المصيبة إذا احتسبت. رقم: 1021. وأحمد في مسنده: ج 4، ص 415،
رقم: 19740، والبيهقي في الشعب: ج 7، ص 119. وابن المبارك في الزهد: ج 1، ص 28. من حديث
أبي موسى الأشعري.

1. قصة أمّ سليم

منها ما وقع لأمّ سليم زوجة ذلك الأنصاري المذكور، واسمه أبو طلحة، ومن قصّتهما أنّ ابنهما المتوفّى بعد خروج أبيه من داره لبعض حوائجه، فقالت أمّه لمن كان معها: إياكم أن تخبروا أبا طلحة به حتّى أخبره أنا، فلمّا رجع قال كيف حال ابني؟ قالت له بخير، سكن ممّا كان به، فقرّبت إليه عشاءه فأكل وشرب، فزيّنت له بزينة أحسن ممّا كانت تزيّنها قبل ذلك، فأصاب منها ما أصاب من قضاء وطره، ثمّ قالت له: يا أبا طلحة أرايت أن استودع أحد عندك وديعة فرجع إليها بعد مدّة وطلبها منك أتمنعه منها أم لا؟

قال لها: لا، وكيف أمنعه من وديعته؟

فقالت: يا أبا طلحة إنّ ابنك عميرة كان عندنا عارية من الله تعالى فقبضه، فحمد الله واسترجع، وقال أنا أحقّ منك بالصّبر الجميل، فقام واغتسل وصلى ركعتين،

فلمّا أصبح قدم لرسول الله ﷺ فقصّ عليه قصّتهما،

فقال له عليه الصّلاة والسّلام: بارك الله في ليلتكما ووقعتكما، الحمد لله الذي جعل في أمّتي مثل صابرة بني إسرائيل.

2. قصّة صابرة بني إسرائيل

ومن خبرها أنّها ولدت من زوجها غلامين، فأمر بطعام لضيافة النّاس ففعلته، واجتمعوا إليه بداره وانطلق الغلمان يلعبان حتّى سقطا في بئر بداره، فأدخلتهما في بيت منها وغطّتهما بثوب، فقامت صابرة محتسبة في شؤون الضّيافة، فقال لها الزّوج أين ابناي؟ فقالت له: هُما في البيت، فتطيّب بطيب حسن فتعرّضت له فواقعها، ثمّ قال لها: أين ابناي؟ فقالت إنّهما في البيت فنادهما فخرجا ساعين، فقالت: صابرة سبحان الله؟ لقد كانا ميّتين فأحياهما الله وعَجَّلَ،

رجوع إلى قصّة أمّ سليم

ثمّ ولدت أمّ سليم ولدا فحملته مع زوجها بست تمرات لسيدنا محمّد عليه الصّلاة والسّلام فمضغها وحنّكه بها

وسمّاه عبد الله، فبورك فيه حتّى ولد عدّة ذكور حفظ منهم سبعة
كتاب الله كلّهُ⁽⁵⁾.

3. قصة مالك بن دينار

ومنها ما وقع لمالك بن دينار زاهد الأمّة، بعد أن كان
شُرطياً شرّاباً للخمور، فَمَنَّ الله سبحانه وتعالى [عليه] بتوبة
نصوح حتّى بلغ مترلة عظيمة،

ومن قصّته أنّه اشترى جارية نفيسة فولدت منه بنتاً
شغفته حباً، فماتت بعد تمام سنتين،

فلما كان ذات ليلة وكانت ليلة جمعة من نصف
شعبان، رأى رؤية هائلة كأنّ القيامة قد قامت، ونفخ في
الصّور، وبعث من في القبور، وأنا معهم،

فإذا بتّين عظيم ورائي فاغرا فاه، يريدني [قال]

5- لعلّها أمّ أنس بن مالك امرأة أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري، واسمها سهلة أو رُميلة بنت ملحان بن
خالد الخزرجية النجارية، ولدت له غلاماً مات صغيراً ثمّ ولدت له عبد الله بن أبي طلحة والد إسحاق
الفقيه الثقة. انظر السالمي: ج1، ص190.

فهربت منه، وهو على أثري، فمررت على شيخ تقيٍّ كبير طيب الرائحة، فسلمت عليه وسألته أن يجيرني منه،

فقال لي: لا قوة لي على ذلك، لضعف حالي، فبكى بكاء شديداً، فقال لي: أسرع لعلَّ الله يقيض لك مخلصاً منه، فاطلعت على طبقات النيران فكدت أن أسقط فيها، والتّين من ورائي، فصاح لي صائح ارجع فإنك لست من أهلها، فاطمأنت نفسي لكلامه ورجعت لذلك الشيخ، فدلّني على جبل أمامي فإنّ فيه ودائع المسلمين لعلّك تجد فيها وديعتك تخلصك منه،

فلما دنى منه نادى مناد افتحوا لهذا البائس الكميّد البابين، وارفعوا عنهما الحجاب لعلّه يجد وديعة تُجيره من عدوّه، فأشرفت فإذا بأطفال المسلمين مشرفين عليّ فوجاً بعد فوج والتّين قريب إليّ،

ثمّ أشرفت ابنتي عليّ باكية، فقالت: أبي والله؟ فمدّت بيدها إليّ فتعلّقت بها، وقعدت في حجري وقالت: يا أبت

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: 16] فبكيت بكاء شديداً، فقلت يا بني: هل تعرفون القرآن؟ فقالت نحن أعرف به منكم،

[قلت] فأخبريني عن التّين؟ فقالت: عملك القبيح قوّيته فأراد أن يسقطك في النار، وعن الشّيخ؟ قالت عملك الصّالح أضعفته، قال فما تصنعون بهذا الجبل؟ قالت نحن أطفال المسلمين قد أسكننا الله سبحانه فيه إلى قيام الساعة، ننتظر قدومكم علينا، فنشفع فيكم، فانتبهت فرعاً مرعوباً ممّا رأيته، ورجعت إلى الله سبحانه فهذا سبب توبيتي.

دعاء

اللهم يا ربّنا يا سيّدنا يا مولانا تُب علينا إنّك أنت التّوّاب الرّحيم.

ومنها أن أعرابية وقفت على قبر أبيها وقالت: إن في الله عوضاً من فقدك، وفي رسول الله ﷺ أسوة من مصيبتك. اللهم نزل بك عبدك فقيراً إلى ما في يدك، يا جواد وأنت يا رب خير من نزل بك المؤمنون، واستغنى بفضله المقلون وولج في سعة رحمته المذنبون، اللهم فليكن قرى عبدك منك رحمتك وشهادة جنتك.

4. قصة البنية

ومنها أن بعض المسافرين لليمن، نزل بامرأة ذات مال كثير، وأولاد وعبيد وخلق حسان، فأقام عندها ما شاء الله حتى قضى حوائجه،

فقال لها: ألك حاجة؟ قالت له: نعم كلما قدمت إلى هذا البلد فانزل بنا، وليس لك إلا ما تُحبُّه وترضاه، فغاب عنها أعواماً،

ثم رجع إليها فوجدها ضاحكة مسرورة، وقد ذهب

مآلها وأولادها وعبيدُها وباعت مَترَها، التي كانت ساكنةً فيها،
فقلتُ لها: يا أمة الله تضحكين مع ما نزل بك من
الفاقة والحاجة؟

فقلت يا عبد الله: كنت في حالة النعمة لي أحزان
كثيرة، فقلت: إنها من قلة الشكر، فأنا اليوم أضحكُ شكرًا
لله سبحانه على ما أعطاني من الصبر.

5. قصة صاحب الرباط

ومنها أنَّ بعض الحكماء خرج للرباط فإذا برجل
أعمى، قد شَلَّتْ يداه ورجلاه، في بيته، وهو يقول:
لك الحمد سيّدي ومولاي، اللهم إني أحمدك
حمدا يوافي نعمك ويكافي مزيدي، إذ فضّلتني على كثير ممّن
خلقت تفضيلاً،

فسلّم عليه وردّ عليه السّلام، فقال له: رحمك الله على
أيّ نعمة تحمده أو على أيّ فضيلة من فضائله تشكره؟

قال: أوليسَ قد ترى ما أبقي لي، فوالله لو أن الله أمر الجبال فدمّرتني، والبحار فأغرقني والأرض فحسفت بي ما ازددت فيه إلا حُبًّا وفي شأنه إلا شكرا،

وقال لي: إن لي حاجة عندك كان لي ابن يتعاهدني أوقات الصلّاة، ويطعمني عند إفطاري، وقد فقدته منذ أمس فانظر هل تحسّه لي؟

فخرجت في طلبه حتّى صرت بين كثران الرّمال فإذا بسبع افترس ابنه يأكله، فقلت: إنّنا لله وإنّا إليه راجعون، كيف أقول لهذا الشيخ؟ فجئته فسلمت عليه وردّ عليّ السّلام فقلت له:

رحمك الله أنت أكرم على الله وعجلك وأقرب منزلة إليه، أو نبيّ الله أيوب عليه الصّلاة والسّلام؟

فقال: بل نبيّ الله أيوب أعظم وأكرم منزلة منّي، وقد ابتلاه الله سبحانه فصبر صبرا جميلا حتّى فرّج الله عنه، وقلت: إنّ ابنك الذي أخبرني به وسألني عنه قد افترسه السّبع، فأعظم الله وعجلك أجرك فيه، فقال:

الحمد لله الذي لم يجعل في قلبي حسرة من الدُّنيا،
فشهق شهقة فسقط ميتا على وجهه، فقلت: إنا لله وإنا إليه
راجعون وكيف أعمل؟ وإني منفرد ومن يعينني عليه، ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فبينما أنا كذلك فإذا بركب يريدون الرِّباط، فأشرت
إليهم، وأقبلوا إليّ حتّى وقفوا عليّ، فقالوا: ما أنت وهذا؟
فأخبرتهم بقصّتي،

فكشف بعضهم عن وجهه فعرفه، وقال هذا أبو قلابة
وقد أبتلي بهذا البلاء منذ أربع عشرة سنة، واعتكف في هذا
الموضع، وكثيرا ما يقول: اللهم لا تخلف بعدي ذرية تعصيك
فتدخله النار،

فأعانوني وكفّناه في أثواب كانت عنده، وتقدّمتُ
فصلّيت عليه ودفّناه في موضعه، وجلست على قبره أنسا به
أقرأ القرآن، إلى أن مضى من الليل ساعة، فأخذتني سِنّة،
فرأيت صاحبي في أحسن صورة وأجمل زيّ في روضة

خضراء عليه ثياب خضر، يتلو القرآن، فقلت له: أأست
صاحبنا؟ وما صيرك إلى ما أرى؟

فقال: اعلم أنني وردت مع الصّابرين لله **وَعَجَلٌ** في درجة
لا ينالوها إلا بالصّبر على البلاء والشكر عند الرّخاء، وانتبهت.

فضائل الصّبر

ومنها أنّ بعضهم رأى فقيراً بمكة طائفاً بالبيت فأخرج
من جيبه رقعة فنظر فيها، فلما كان بالغد فعل مثل ذلك،
فتباعد قليلاً وخرّ ميتاً،

فأخرجت الرّقعة فإذا فيها، **﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ
إِلَّا بِاللَّهِ﴾**، **﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾**، فإنّ
الصّبر مطيّة لا تكبو، وسيف لا ينبو، وزين العقل وجوهره،
وخير كلّ، وهو في المحن عنوان الفرج، ومفتاح كلّ
خير، وكَنْزٌ من كنوز البرّ، وفيه حسن الظنّ بالله تعالى،
وراحة للبدن.

6. قصة شريح

ومنها أنَّ شريح القاضي مات ابن له فجَهَّزَه وصَلَّى عليه، ودفنه ولم يشعر به أحد، وجلس للقضاء من الغد، فجاءه الناس على حسب العادة يعودونه وسألوه عنه، فقال الآن فقد الأنين والوجع فظنَّ الناس أنَّه عوفي فسرَّوا بذلك، فقال احتسبناه في جنب الله **وَعَجَّلْ**، فتعجبوا منه وكان يقول: **إِنِّي لأُصاب بالمصيبة فأحمدُ الله عليها أربع مرَّات،**

حمداً إذ لم تكن أعظم منها،

وحمداً رزقني الصبر عليها،

وحمداً وفقني للاسترجاع لما أرجو فيه من الثواب الجزيل،

وحمداً لم يجعلها في ديني.

[لغة]: وصبر وصبر وتَصَبَّرَ واصطبر وصابر وتصابر،

والصَّبِيرُ الكفيلُ، ومتقدِّم القوم، والجبل،

والسَّحَابَةُ البيضاء، أو الكثيفة أو المتراكمة بعضها فوق

بعض، والقطعة الواقعة منها،

وَالصَّبْرَةُ مِنَ الطَّعَامِ مَا جُمِعَ مِنْ غَيْرِ كَيْلٍ، وَالطَّعَامُ
الْمِنْخُولُ، وَالْحَجَارَةُ الْغَلِيظَةُ، وَالْأَرْضُ ذَاتُ خَصْبٍ.

وَالصَّبَّارَةُ الْبَرْدُ الشَّدِيدُ وَقِطْعَةُ حَدِيدٍ،
وَأُمُّ صَبُورٍ الدَّاهِيَةُ، وَالْحَرُّ وَالْحَرْبُ الشَّدِيدُ،
وَالصَّبْرُ شَجَرٌ يُقَالُ لَهُ الْمَرْ وَالصَّبْرُ، وَالْمَصَابِرَةُ ثَمَرُ
شَجَرَةٍ حَامِضَةٍ،

وَأَبُو صَبِيرَةٍ طَائِرٌ أَحْمَرُ الْبَطْنِ أَسْوَدُ الظَّهْرِ وَالرَّأْسِ، وَالذَّنْبُ،
وَاللَّبَنُ اشْتَدَّتْ حَمُوزَتُهُ إِلَى الْمَرَارَةِ،
الصَّبِيرُ الْحَلِيمُ الَّذِي لَا يِعَاقِبُ مِنْ عَصَاهُ بَلْ يَعْفُو
وَيَصْفَحُ عَنْهُ،

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ أَيُّ أَجْرَاهُمْ
أَوْ أَعْلَمَهُمْ بِعَمَلِ أَهْلِهَا،

وَشَهْرُ الصَّبْرِ أَيُّ الصَّوْمِ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِهِمْ مِنْ
مَجْزُوءِ الْكَامِلِ:

كُنْ عَنْ هَمُومِكَ مَعْرُضًا وَكُلِّ الْأُمُورِ إِلَى الْقَضَا

وابشر بخير عاجل تنسى به ما قد مضى
فلربَّ أمرٍ مُّسْخِطٍ لك في عواقبه رضا
الله يفعل ما يشاء فلا تَكُنْ مُّتَعَرِّضًا

وليكن هذا آخر ما قصدته والله الحمد على إتمام ما
أردته، حمداً يوافي ما تفضل به علينا من نعمه، ويكافئ ما
أسبله من آلائه، ومزید إفضاله.

اللهم يا مولانا وفقنا لما تحبه وترضاه، وتفضل علينا يا ذا الجود
والإحسان، بالعفو الجميل والصفح الجليل برحمتك يا أرحم الراحمين.
بتاريخ أواسط صفر من سنة 1224هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس العناوين المدرجة في الكتاب

الصفحة	العنوان
I	مقدّمة
IV	التعريف بالشيخ
1	مقدّمة المؤلّف
4	ما يجوز للمخلوق أن يحلف به
5	كفارة اليمين
5	يمين اللّغو
6	الحنث أفضل
7	متى تخرج الكفارة
7	لغة: معنى كلمة العصر
8	مواضع كسر همزة "إنّ"
10	منطقيات
11	لغة معاني ﴿الانسان﴾
18	مفهوم الإيمان (وذهب أصحابنا)
20	التنديد برأي المرجئة
22	النّاس على ثلاثة
25	ركن الصّلاة

25	 ركن الزكاة
25	 ركن الصيام
25	 بقية الأركان والشروط
27	 حدّ العورة
28	 حكم من يعمل الصّالحات والسيّئات
30	 حكم المرتكب للكبائر
31	 معاني العمل
32	 معاني الصّلاح
36	 معاني الحقّ
38	 آيات الصّبر
41	 أحاديث الصّبر
55	 قصّة أمّ سليم
56	 قصّة صابرة بني إسرائيل
57	 قصّة مالك بن دينار
60	 قصّة اليمانية
61	 قصّة صاحب الرباط
64	 فضائل الصّبر
65	 قصّة شريح